أثر التَّوازي في الاتِّساق والانسجام شعر صالح هوَّاري أنموذجاً

طالبة الدكتوراه : منال عبد القادر سعد الدين
قسم اللغة العربية _ كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة _ جامعة البعث
إشراف : الأستاذ الدكتور هايل محمد الطَّالب

ملخَّص

يدرس البحث إحدى ظواهر الترابط النَّصِّي وهي ظاهرة التَّوازي ، ويُشير إلى تجلّي هذه الظَّاهرة في تراثنا البلاغي من خلال بروزها في فنونٍ بديعيَّةٍ مختلفةٍ ، ويُوضِّح كيف يُحقِّق التَّوازي التَّرابط النَّصِّي في أبعاد النَّص المختلفة وفي مستوياته التَّراتبيَّة ، فيبيّن دور التَّوازي في تحقيق الاتِّساق على المستوى السَّطحي والانسجام على المستوى العميق للنَّص من خلال تعالق مستوياته التَّراتبيَّة ، وذلك في ضوء معالجة أنماط التَّوازي المختلفة في شعر صالح هوَّري وهي : التَّوازي الأفقي والعمودي والصَّوتي والتَّركيبي والدَّلالي .

الكلمات المفتاحيَّة :

الاتِّساق ، الانسجام ، التَّوازي ، التَّوازي الأفقي ، التَّوازي العمودي ، التَّوازي الصَّوتي ، التَّوازي التَّركيبي ، التَّوازي الدَّلالي .

The effect of parallelism on cohesion and coherence Saleh hawari,s poetry as a model

abstract

the research studies one of the phenomena of textual connection , which is the phenomenon of parallelism . it refers to the manifestation of this phenomenon in our rhetorical heritage through its emergence in various innovative arts . it shows how parallelism achieved textual connection in the different dimensions of the text and at its hierarchical levels . it shows the role of parallelism in achieving cohesion at the surface level and coherence at the deep level of the text through the interrelation of its hierarchical levels . this is in light of the treatment of different parallelism patterns in saleh hawari,s poetry , which are ; horizontal , vertical , phonetic , structural and semantic parallelism

key words : cohesion , coherence , parallelism, horizontal parallelism , vertical parallelism , phonetic parallelism , structural parallelism , semantic parallelism

1 _ المقدّمة :

التَّوازي مفهومٌ هندسيٌّ ظهر في الرياضيَّات كما ظهر في الأدب والشِّعر ليُمثِّل مظهراً رئيساً للغة الشِّعريَّة رغم أنَّهُ لا يقتصرُ على الشِّعر فحسب ، بل يتَّسعُ ليشملَ النَّثر أيضاً ، وهو وسيلةٌ من وسائل مقاربة النَّص على المستوى الصَّوتي والمعجمي والتَّركيبي والدَّلالي والجمالي ، فهو عنصرٌ بنائيٌّ وتنظيميٌ للنَّص كما أنَّهُ وسيلةٌ من وسائل اتِّساق أبنية النَّص وانسجام موضوعاته ؛ لأنَّهُ نمطٌ من أنماط التَّرابط يتحقَّق من خلال هندسة البناء النَّصِّي القائمة على التَّماثل والتَّقابل بين الكلمات والعبارات والجمل والمعاني .

والتَّوازي وإن كان مفهوماً غربيَّاً رئيساً من مفاهيم الشِّعريَّة واللسانيَّات النَّصيَّة ، إلَّا أنَّهُ لم يغب عن تراثنا النَّقدي والبلاغي ، فقد تبلور من خلال فنونٍ بلاغيَّةٍ عديدةٍ كما تعدَّدت واختلفت المصطلحات الدَّالَّة عليه فيها ، ومفهومه واضحٌ فيها مُوزَّعٌ على أكثرها ؛ إذ لا نقعُ على فنٍّ بلاغيٍّ واحدٍ منها يكتنفُ كلَّ أنماط التَّوازي وتفريعاتهِ .

2 _ مشكلة البحث وأهميَّتهُ والجديد فيه :

تكمن مشكلة البحث في تعدُّد تفريعات التَّوازي واختلاف تصنيفاتها لدى الباحثين كما تكمن في مشكلة تناولهِ ظاهرةً لسانيَّة غربيَّةً فقط ،أو في ضوء الفنون البديعيَّة المُوازية لهُ في التُّراث العربي ؛ ممَّا يضعُ الباحث أمام مشكلة التَّوفيق بين تلك الدِّراسات العربيَّة والغربيَّة لإخراج البحث في صورةٍ تتبنَّى اللساني النَّصِّي الغربي الحديث دون إغفالٍ لمعطيات التُّراثي البلاغي القديم .

وتتمثَّل أهميَّة البحث في كونه مقاربةً لسانيَّةً نصيَّةً تُعنى بالتَّرابط النَّصِّي في المستويات النَّصيَّة التَّراتبيَّة جميعها : الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والمعجميَّة والنَّحويَّة والدَّلاليَّة كما تُعنى بتعالق تلك المستويات وأثر ذلك في تماسك النَّص .

أمَّا عن الجديد في البحث فيتمثَّل في دراسة الاتِّساق والانسجام في نص صالح هوَّاري من خلال تصنيفات التَّوازي المختلفة المُتعدِّدة ؛ ممَّا يُؤشِّر لتعالق مستويات الدِّراسة وتقاطعها

3 _ أهداف البحث :

يسعى البحث إلى إثبات تحقُّق التَّماسك النَّصِّي في نص صالح هوَّاري في ضوء ظاهرة التَّوازي من خلال تآزر مستويات النَّص جميعها : المستوى الأفقي والعمودي والسَّطحي والعميق

4 _ مصطلحات البحث :

أبرز المصطلحات الواردة في البحث :

الاتِّساق ، الانسجام ، التَّوازي ، التَّوازي الأفقي ، التَّوازي العمودي ، التَّوازي الصَّوتي ، التَّوازي التَّركيبي ، التَّوازي الدَّلالي .

ويُقصَدُ بالاتِّساق cohesion : الرَّبط بين مكوِّنات النَّص السَّطحيَّة ، فهو يُحقِّق خاصية الاستمراريَّة في ظاهر النَّص ، ووسائل الاتِّساق تشمل : التَّكرار والتَّضام والاستبدال والإحالة والحذف والرَّبط والتَّوازي .

كما يُقصَد بالانسجام coherence : الرَّبط بين تصوُّرات عالم النَّص ، فهو يُحقِّق الاستمراريَّة في باطن النَّص ، ووسائل الانسجام تشملُ : موضوع الخطاب والسِّياق والتَّغريض والعلاقات الدَّلاليَّة وأزمنة النَّص .

أمَّا عن بقية المصطلحات فقد ورد التَّعريف بها في متن البحث .

5 _ الدّراسات السَّابقة :

لم أعثر على أيَّةِ دراسةٍ تعالج ظاهرة التَّوازي في شعر صالح هوَّاري ، أمَّا عن ظاهرة التَّوازي فقد تناولتها دراسات لغويَّة عدَّة تناولاً جزئيًّا في فصلٍ أو بحثٍ من كتابٍ ، أو تناولاً كليًّاً اتَّسع ليشمل موضوع الكتاب بأكملهِ ، ومن تلك الدِّراسات :

1 _ دراسة الدكتور عبد الواحد حسن الشيخ في كتابه " البديع والتَّوازي " :

يعتمدُ الباحث في كتابه المنهجين الوصفي والتَّاريخي ، ويُقدِّمُ مادَّتهُ العلميَّة من منظورين ، يتناول الأوَّل ظاهرة التَّوازي في دراسات الباحثين ، تعريفاً وتاريخيًّاً وتطبيقاً في اللغات والأشعار العالميَّة و الكتب المُقدَّسة ، ويعرض لأشهر الدِّراسات التي عالجت ظاهرة التَّوازي ، ومن أبرزها : دراسة رومان جاكبسون JAKOBSON,R في مؤلَّفهِ " التَّوازي النَّحوي " ، ودراسة جيمس فوكس FOX, J في مؤلَّفهِ " رومان جاكبسون و الدِّراسة المقارنة للتَّوازي " ، وغيرها من الدِّراسات .

أمَّا المنظور الثَّاني فيُعنى بدراسة تطبيقيَّة لعلم البديع في ضوء ظاهرة التَّوازي نظراً للصلة القائمة بينهما ، فهما يلتقيان في أمورٍ كثيرةٍ منوطةٍ بالتَّنسيق الصَّوتي ، والإيقاع المتناغم المنبثق عن اللفظ المفرد ، أو الجملة المُركَّبة ، أو التَّناسق الدَّلالي ، من هنا يُقدِّم الباحث رؤيا جديدة لدراستهِ البديع وفق منظومة التَّوازي انطلاقاً من الأقسام الآتية :

1 _ المحسِّنات الصَّوتيَّة اللفظيَّة .

2 _ مُحسِّنات الإيقاع الجملي .

3 _ مُحسِّنات الإيقاع الدَّلالي .

ويتجرَّد بذلك من التَّقسيم المنطقي الجامد للفنون البديعيَّة ، إذ حصرها البلاغيُّون القدماء في " المحسِّنات اللفظيَّة والمعنويَّة " .

2 _ دراستا الدكتور محمد مفتاح في كتابيه " التَّلقِّي والتَّأويل " و " التَّشابه والاختلاف " :

يعتمدُ الباحث المنهج الوصفي التَّحليلي في مقاربة ظاهرة التَّوازي في مبحثيه في هذين الكتابين ، ويُجري دراستهُ التَّطبيقيَّة على نصٍّ ل " ابن طفيل " في " التَّلقِّي و التَّأويل " ، في حين يُجريها على شعر " أبي القاسم الشَّابِّي " في كتاب " التَّشابه و الاختلاف " ، ويتَّبع في كلا الدِّراستين نهجاً يُجاري حيناً ويخالفُ أحياناً أخرى الدِّراسات العربيَّة البلاغيَّة التُّراثيَّة ، والغربيَّة في مقاربة الظَّاهرة ، فيرى أنَّ تلك الدِّراسات جميعها لم تؤطِّر مفاهيم إجرائيَّة كافية تستطيع معالجة ظاهرة التَّوازي في نصوصٍ شعريَّةٍ كاملةٍ ، إذ اقتصرت على نطاقٍ ضيِّقٍ يُعنى ببيتٍ شعريٍّ أو بيتين ، أو آية أو آيتين ، من هنا يقترحُ الباحث في كلتا الدِّراستين مفاهيمَ إجرائيَّةً وصفيَّةً أكثر شموليَّة لمقاربة الظاهرة نصيَّاً ، فينطلقُ من الأكثر ظهوراً إلى الأقل ظهوراً ، ومن العام إلى الخاص ، ومن الظَّاهر إلى الخفي ، مفترضاً توازياً شاملاً وبنيةً أمَّاً ، ويعالجُ الظَّاهرة في " التَّلقِّي والتَّأويل " من حيث طبيعة التَّوازي و خصائصهِ ، في حين يعالجها في " التَّشابه والاختلاف " من حيث طبيعة التَّوازي ودرجاتهِ وعلائقهِ .

3 _ دراسة الدكتور إبراهيم عبد المنعم إبراهيم " بنيات التَّوازي وجماليَّاتها " في كتابه " بحوث في الشعريَّة وتطبيقاتها عند المتنبي " :

يعتمدُ الباحث في مبحثهِ هذا المنهج الوصفي التَّحليلي في معالجة ظاهرة التَّوازي في شعر المتنبي ، ويتناول الظَّاهرة في ضوء الفنون البديعيَّة المختلفة ، ويُلحَظُ تركيزهُ بشكلٍ رئيسٍ على التَّوازي الصَّوتي والتَّركيبي مع مقابلة المعاني ، ويرى أنَّ دور التَّوازي لا يقفُ عند تحقيق التَّماسك النَّصِّي ، فالتَّوازي مقوِّمٌ رئيسٌ من مقوِّمات الشِّعريَّة ، بالإضافة لما يؤدِّيهِ من دورٍ في الحجَّة والإقناع .

4 _ دراسة الدكتور موسى ربابعة " ظاهرة التَّوازي في قصيدةِ للخنساء " :

يعتمدُ الباحث في مبحثهِ هذا المنهج الوصفي التَّحليلي ، وهو يدرس ظاهرة التَّوازي في إحدى قصائد الخنساء مفيداً من الدِّراسات الحديثة التي تناولت الظَّاهرة ، ويعتمدُ في معالجتها على الفنون البلاغيَّة التي تلتقي مع ظاهرة التَّوازي ، كما يتناول مستويات التَّوازي جميعها الصَّوتيَّة والتَّركيبيَّة والدَّلاليَّة مُبيّناً أثر التَّوازي في تشكيل النَّسيج الشِّعري ، وفي هندسة البيت الشِّعري ، و بناء القصيدة ومعماريَّتها ، كما يبيّنُ أثر التَّوازي في تآلف عناصر الصَّوت والتَّركيب والدَّلالة وانعكاس ذلك على التَّجاوب القائم بين اللغة والموضوع .

وقد أفاد البحث من مجمل تلك الدِّراسات في مقاربة ظاهرة التَّوازي في شعر صالح هوَّاري وإن اختلفت قصديَّةُ الدِّراسة ؛ إذ عُنِي معظم تلك الدِّراسات بمقاربة التَّوازي على أنَّه ظاهرةٌ شعريَّة تشتملُ الكثير من فنون علم البديع ، في حين لا تقتصر هذه الدِّراسة على معالجة ظاهرة التَّوازي في نص صالح هوَّاري في ضوء الفنون البديعيَّة ، وإنَّما تتَّسع لتُعالج الظَّاهرة على أنَّها وسيلةٌ من وسائل التَّرابط النَّصِّي كما تُبيّن أثرها في تحقيق الاتِّساق والانسجام النَّصِّي في النَّص المذكور .

6 _ منهج البحث :

اعتمد البحث المنهج الوصفي التَّحليلي في دراسة ظاهرة التَّوازي ومقاربتها نظريَّاً وتطبيقيَّاً في نص صالح هوَّاري ، كذلك في معالجة قضيَّة التَّماسك النَّصِّي في النَّص المذكور من خلال هذهِ الظَّاهرة .

7 _ عرض البحث والمناقشة والتَّحليل :

أ _ الدِّراسة النَّظريَّة :

_ التَّوازي : PARALLELISM

مفهوم التَّوازي من المفاهيم المنقولة من المجال الهندسي إلى المجال الأدبي والشِّعري ، ويُعدُّ الرَّاهب روبرت لوث (1753 م) ROBERT LOWTH أوَّل من استعمله وذلك في تحليل الآيات التَّوراتيَّة ، [1] إلَّا أنَّ الدَّور الرَّئيس في دراسة هذه الظَّاهرة بوصفهِ مفهوماً جوهريَّاً من مفاهيم الشِّعريَّة ، وتبيان مدى ارتباطها الوثيق بالشِّعر يُعزى إلى رومان جاكبسون ROMAN JAKOBSON ، إذ وقف على أهميَّتها خلال دراسته التراث الشفوي للشعر الروسي . [2]

ولمصطلح التَّوازي جانبان ، يختلف استخدامهُ تبعاً لهما ، يُنظَر إلى الأوَّل على أنَّهُ مظهر دائم الوجود للغة الشِّعريَّة ، ويُمثِّل الثَّاني وسيلة تكوين صارمة ومُتَّسقة ومنتشرة في الشِّعر الشَّفهي التَّقليدي لمجموعة واسعة من شعوب العالم ، ووصف جاكبسون هذا النَّوع الثَّاني بأنَّهُ " إلزامي " أو " قانوني " . [3]

---

[1] _ التشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1996م ، ص 97

[2] _ بحوث في الشِّعريَّة وتطبيقاتها عند المتنبي ، د. إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2008م ، ص 85

[3] _ fox , james. J , explorations in semantic parallelism ,the Australian national university press , 2014 , p 20 _

وبالعودة إلى المعاجم اللغويَّة والاصطلاحيَّة ومعاجم تاريخ الأدب يتَّضح تباينها في تعريف التَّوازي ، إلَّا أنَّها تتَّفق على أنَّهُ :

((_ التَّشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات شعريَّة .

_ التَّوالي الزَّمني الذي يؤدِّي إليه توالي السلسلة اللغويَّة المتطابقة أو المتشابهة .

_ يشمل العناصر الصَّوتيَّة والتَّركيبيَّة والدَّلاليَّة ، وأشكال الكتابة وكيفية استغلال الفضاء .

_ يفرض عادةً أنَّ الطَّرفين متعادلان في الأهميَّة .

_ التَّوازي أنواع : يكون أحياناً مترادفاً بحيث يُعيد الجزء الثَّاني الجزء الأوَّل في تعابير أخرى ، ويكون أحياناً متضادَّاً ، بحيث يضاد الجزء الثَّاني الجزء الأوَّل ، ويكون أحياناً توليفيَّاً بحيث يُحدِّد الجزء الثَّاني الجزء الأوَّل .

_ التَّوازي خاصَّة أساسيَّة في الأشعار العالميَّة .

_ اهتمام الدِّراسات الشِّعريَّة المعاصرة بخاصة التَّوازي .)) [1]

يُنظَر إلى التَّوازي على أنَّهُ منهاجيَّة وصفيَّة وتحليليَّة للخطاب الشِّعري ، [2] فهو وسيلة من وسائل مقاربة النَّص على المستوى اللغوي ، والصَّوتي ، والجمالي ، والدَّلالي ، [3] لأنَّهُ

[1] _ التَّشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، ص 97 _ 98

[2] _ التَّلقي و التَّأويل ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م ، ص 157

[3] _ البديع والتَّوازي ، د. عبد الواحد حسن الشِّيخ ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيَّة ،الاسكندريَّة ، الطبعة الأولى ، 1999م ، ص 26

عنصرٌ تأسيسيٌّ وتنظيميٌّ للنَّص في آنٍ واحد ، [1] فهو يُحقِّق ((نسق من التَّناسبات المستمرَّة على مستويات متعدِّدة : في مستوى تنظيم وترتيب البنى التَّركيبيَّة وفي مستوى تنظيم وترتيب الأشكال والمقولات النَّحويَّة ، وفي مستوى تنظيم و ترتيب التَّرادفات المعجميَّة وتطابقات المعجم التَّامَّة ، وفي الأخير ، في مستوى تنظيم وترتيب تأليفات الأصوات والهياكل التَّطريزيَّة ، وهذا النَّسق يُكسِب الأبيات المترابطة بواسطة التَّوازي انسجاماً واضحاً وتنوُّعاً كبيراً في الآن نفسه .)) [2] من هنا فإنَّ التَّوازي ليس خاصة اختياريَّة فحسب ، بل واضطراريَّة أيضاً تفرضها اللغة ، لأنَّ النَّص ينمو ويتناسل وفق مبدأ " التَّنظيم الذَّاتي " ، كما أنَّ بعض الكلمات يستدعي بعضها بعضاً بالتَّشابه والتَّقابل [3] .

ويُعرَّف التَّوازي بأنَّهُ ((عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطورٍ متطابقة الكلمات ، أو العبارات القائمة على الازدواج الفنِّي وترتبط ببعضها وتسمَّى عندئذٍ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية ، سواء في الشعر أو النَّثر ، خاصَّةً المعروف بالنَّثر المُقفَّى ، أو النَّثر الفنِّي ، ويوجد التَّوازي بشكلٍ واضحٍ في الشِّعر فينشأ بين مقطعٍ شعريٍّ وآخر ، أو بيتٍ شعريٍّ و آخر .)) [4]

ومؤدَّى هذا أنَّ التَّوازي نمط من أنماط التَّرابط بين الألفاظ المفردة والمركَّبة والمعاني ، يتحقَّق من خلال التَّماثل والتَّقابل في السُّطور بين الكلمات والعبارات والجمل والمعاني . [5]

---

[1] _ التَّلقِّي والتَّأويل ، د. محمد مفتاح ، ص 149

[2] _ قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون ، ترجمة محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 1988م ، ص 106

[3] _ التَّشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، ص 124

[4] _ البديع والتَّوازي ، د. عبد الواحد حسن الشِّيخ ، ص 7 _ 8

[5] _ المرجع نفسه ، ص 8

ويرى يوري لوتمان أنَّ ((التَّوازي مركَّب ثنائي التَّكوين ، أحد طرفيه لا يُعرَف إلَّا من خلال الآخر ، وهذا الآخر _ بدورهِ _ يرتبط مع الأوَّل بعلاقة أقرب إلى التَّشابه ، نعني أنَّها ليست علاقة تطابق كامل ، ولا تباين مطلق ، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الطَّرف الآخر يحظى من الملامح العامَّة بما يميِّزه الإدراك من الطَّرف الأوَّل ، ولأنَّهما _ في نهاية الأمر طرفا معادلة وليسا متطابقين تماماً فإنَّنا نعود ونكافئ بينهما على نحوٍ ما ، بل ونحاكم أوَّلهما بمنطق خصائص وسلوك ثانيهما .....وقد ينهض طرفا التَّوازي كلاهما بتنميط أحدهما الآخر ، ولا يتسنَّى ذلك إلَّا إذا كان في كُلٍّ منهما شيءٌ ما مناظرٌ لما في الآخر .....أمَّا فيما يتعلَّق بالتَّوازي على مستوى الكلمات ومستوى التَّراكيب فإنَّ ضرباً من العلاقة المجازيَّة ينشأ بين طرفي التَّوازي : المشروع والنَّموذج ، أو المادة والصورة .)) [1]

ويُميِّز د. صلاح فضل بين نوعين من التَّوازي تبعاً لطبيعة الشِّعر :

1 _ **توازٍ مُقعَّد** : يتَّسمُ به شعرنا العربي القديم ، ومردُّهُ إلى الأدوات الفنيَّة والقواعد النَّاظمة لذلك الشِّعر من تقفية ومحسِّنات بديعيَّة ، ونمطيَّة دلاليَّة قائمة على بنية التَّكرار .

2 _ **توازٍ حر** : يتَّسم بهِ شعر الحداثة ، وهذا التَّوازي المُتنقِّل يَهَبُ حركيَّة الشِّعر حيويَّةً واتِّساقاً ، مردّهما إلى التَّناغم والاختلاف معاً . [2]

[1] _ تحليل النص الشعري " بنية القصيدة " ، يوري لوتمان ، ترجمة د. محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م ، ص 129 _ 130 ((بتصرف بسيط))

[2] _ شفرات النَّص ، د. صلاح فضل ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الجيزة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1995م ، ص 92 _ 93

فالتَّوازي المُقعَّد من منظور د. فضل توازٍ مُوجَّه تقود إليه أسس بناء الشعر القديم ، في حين أنَّ التَّوازي الحر أكثر تحرُّراً من قيود النَّظم وأدواته الفنيَّة ، يُسَاق إليه تلقائيَّاً دون ضوابط ومُحدِّدات مُسبَقَة .

ومصطلح التَّوازي لا يقتصرُ على اللغة الشِّعريَّة فقط بل يكتنفُ الشِّعر والنَّثر ، إلَّا فارقاً جوهريَّاً بين توازٍ في الشِّعر ، وآخر في النَّثر ، [1] إذ تُعدُّ ((بنية الشِّعر هي بنية التَّوازي المستمر .)) [2] ، وفي الشِّعر يكون للصوت أسبقيةٌ على الدِّلالة في تحقيق التَّوازي ، لأنَّ الوزن هو الذي يفرض بنية التَّوازي من خلال البنية التَّطريزيَّة والوحدة النَّغميَّة للبيت ، وتكرار الأبيات والأجزاء العروضيَّة المُكوِّنة لها ، فكلُّ هذا يفرض توزيعاً متوازياً لعناصر الدَّلالة النَّحويَّة والمعجميَّة ، أمَّا في النَّثر فيكون للدلالة أسبقيَّة على الصَّوت في تحقيق التَّوازي لأنَّ الوحدات الدَّلاليَّة المترابطة على أساس المُشابهة أو التَّباين أو المجاورة هي التي تُنظِّم بالأساس البنيات المتوازية ، [3] ((ولعلَّ الشعر العربي هو شعر التَّوازي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، فهو مؤسَّسٌ على بعضهِ ، وهو مُنظَّمٌ بأنواعٍ أُخرى منهُ)) [4] ، وإن كان التَّوازي يشمل الشعر والنثر في الدِّراسات العربية القديمة ، [5] فقد تنبَّه القدماء نقاداً وبلاغيين لمفهوم التَّوازي ، لكنَّهم تباينوا في مصطلحاتهم الدَّالة عليه ، [6] فالتَّوازي يكتنفُ عدَّة فنونٍ بلاغيَّةٍ ((كالمقابلة والمزاوجة ، والعكس والتَّبديل ، والتَّرديد والتَّفويف ، والمماثلة والتَّفريق ، والجمع مع التَّفريق أو التَّقسيم أو هما معاً ، وهي في جملتها ألوان بديعيَّة تكشف عن جوانب من المقابلة أو المزاوجة أو التَّكرار ، وتسهم في بناء المعنى ،

---

[1] _ قضايا الشعرية ، رومان جاكبسون ، ص 108

[2] _ المرجع نفسه ، ص 105

[3] _ المرجع نفسه، ص 108

[4] _ التَّلقِّي والتَّأويل ، د. محمد مفتاح ، ص 149 _ 150

[5] _ التَّشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، ص 98

[6] _ المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 102

وتُحدث أثرها في سبك النَّص وحبكهِ وتلاؤم أجزائهِ ومناسبتهِ وشدة تلاحمهِ ، غير أنَّ الصِّفة الغالبة على هذه الألوان البديعيَّة هو البعد التَّركيبي الصَّوتي ، فغالباً ما تُصاغ في تراكيب نحويَّة متوازية وبنيات متوازنة يكون لها أثرها الفاعل في إنتاج الدَّلالة وصوغ المعنى .)) [1]

ب _ الدِّراسة التَّطبيقيَّة :

التَّوازي في نص صالح هوَّاري :

يُعدُّ التَّوازي عاملاً من عوامل اتِّساق أبنية النَّص وانسجام موضوعاتهِ ، نظراً لإسهامهِ في تحقيق الارتباط والتَّناسق بين أجزائهِ ومبانيه ، وذلك من خلال التَّقطيع المتساوي لأقسامهِ ، والتَّجزئة المتكافئة لجمله ، شريطة تتابع تلك الأبنية المتوازية في البناء النَّصِّي دون فاصلٍ نحويٍّ بينها ، والتَّوازي إنَّما يُسهم في تحقيق الاتِّساق النَّصِّي في نص صالح هوَّاري من خلال نوعيه التَّام والجزئي ، اللذين يتوزَّعان نصيَّاً في مستويين متناظرين أفقيَّاً في البيت الواحد ، وعموديَّاً بين أبيات النَّص المتتابعة وفق الآتي [2] :

1 _ التَّوازي الأفقي التَّام :

ويتحقَّق من خلال التَّطابق النَّحوي بين شطري البيت الواحد ، من دون الاكتراث بطبيعة البنى الجمليَّة المتوازية التي تتنوَّع بما يتناسب مع الغرض النَّصِّي . [3]

ومنهُ قول الهوَّاري في نصِّهِ " **نسينا العتاب** " [1] :

---

[1] _ بحوث في الشِّعريَّة وتطبيقاتها عند المتنبي ، د. إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، ص 85

[2] _ لسانيات الخطاب (مباحث في التَّأسيس والإجراء) ، أ ، د. نعمان بوقرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2012م ، ص 160 _ 161

[3] _ المرجع نفسه ، 161

ضحكنا .. ارتبكنا ... سكتنا ومن كثرةِ الصَّمتِ ضجَّ الكلام

فالتَّوازي وقع في الشِّطر الأوَّل بين الأفعال (ضحكنا / ارتبكنا / سكتنا)

وقولهُ في نص : " **أحلفُ بالحبِّ ومعبدِهِ** " [2] :

أنتِ نعيمي ... أنتِ عذابي أنتِ ملاكي ... أنتِ هلاكي

يضفي التَّوازي في الشَّطرين الأوَّل والثَّاني اتِّساقاً صوتيَّاً على البيت الشِّعري من خلال حسن التَّقسيم * المُتمثِّل في تكرار التَّركيب الإسنادي ذاته (المبتدأ + الخبر) أربع مرَّات ، فقد تكرَّر المبتدأ " أنت " في التَّراكيب الأربعة ، في حين نوَّع الشَّاعر في الخبر مستخدماً ألفاظاً تتوازى في صيغها الصَّرفيَّة " نعيمي / عذابي / ملاكي / هلاكي " ، كما أنَّنا نلحظ توازياً على المستوى الدَّلالي العميق للنَّص من خلال التَّضاد بين لفظتي الخبر في كل شطر (نعيمي / عذابي) ، (ملاكي / هلاكي) ، ممَّا يجعل من التَّوازي رابطاً صوتيَّاً سطحيَّاً ودلاليَّاً عميقاً في آنٍ واحدٍ .

وقوله في نصِّه " **حان القطف** " [3] :

الطَّقسُ يموجُ بعينيها حيناً يغضبُ ... حيناً يصفو

حوراءُ كأنَّ بضحكتها درَّاً يرسو درَّاً يطفو

---

[1] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 20

[2] _ المرجع نفسه ، ص 29

* يُقصَد بالتَّقسيم ((استيفاء المتكلِّم أقسام الشيء ، بحيث لا يُغادر شيئاً .)) يُنظَر :
_فن البديع ، د. عبد القادر حسين ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1983م ، ص 76

[3] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 118

يبدو التَّوازي في الشِّطر الثَّاني من هذين البيتين ، وذلك في قولهِ (حيناً يغضبُ / حيناً يصفو) ، وقولهِ (درَّاً يرسو / درَّاً يطفو) ، وكان مبعث التَّوازي تكرار " حيناً " ، " درَّاً " ، وتكرار الصِّيغة الصَّرفيَّة ذاتها " يفعُلُ " في الفعلين (يغضب / يصفو) ، (يرسو / يطفو) ، وقد أضفى هذا التَّوازي إيقاعاً موسيقيَّاً موَّحَّداً يُعزى إلى التَّماثل في تكرار (حيناً / درَّاً) والتَّشابه في الصِّيغ الفعليَّة ، هذا على المستوى السَّطحي ، أمَّا على المستوى العميق فتحقَّق التَّرابط الدَّلالي من خلال التَّضاد القائم بين (يغضب / يصفو) ، (يرسو / يطفو) .

و في نص " **الحب** " [1] :

الحبُّ جزيرةُ أوهامٍ فيها الدرُّ وفيها الصَّدفُ

يتحقَّق التَّوازي في الشِّطر الثَّاني (فيها الدرُّ وفيها الصَّدفُ) من خلال التَّركيب الإسنادي المتكرِّر ، إذ تكرَّر الخبر المُتقدِّم " فيها " في حين نوَّع الشَّاعر في الخبر ، أمَّا على المستوى الدَّلالي العميق فتحقَّق الالتحام من خلال المناسبة بين " الدُّر / الصَّدف " والتي تُعزى إلى اندراجهما ضمن الحقل الدَّلالي ذاته وهو حقل " المجوهرات البحريَّة " .

يبدو الاتِّساق الصَّوتي في الأمثلة السَّابقة ناجماً من تآزر جملة عوامل ، إذ يبرز التَّوازي في كلٍّ منها في ثوب حسن التَّقسيم ، كما تتماثل بعض الأجزاء مع نظيراتها ، في حين تتشابه الأجزاء الأخرى بنيويَّاً في صيغها الصَّرفيَّة ، ثمَّ إنَّ المتلقِّي يختزن إيقاع القسم الأوَّل في ذاكرته عند تلقِّيهِ ، ثمَّ يتعمَّق لديهِ التَّوقيع الموسيقي بورود الأقسام اللاحقة ليتعاضد تكرار الأقسام مع تشابه وتماثل الأجزاء في شدِّ لحمتها وربط اللاحق بالسَّابق .

[1] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 119

2 – التَّوازي الأفقي الجزئي :

يتحقَّق من خلال حدوث نقص في الأبنية المتوازية بين الشطرين ، ويُعزى ذلك النَّقص إلى حدوث عملية من عمليات التَّحويل النَّحوي كالزِّيادة أو الحذف أو الاستبدال ، ولعلَّ أشهر أنواع الزيادة إضافة الواو أو الجار والمجرور . [1]

ومنه قول الهوَّاري [2] :

لصوتي لمعةٌ تُغري لصمتي ضجَّةُ البحرِ

يبدو الانحراف عن نمط التَّوازي الأفقي التَّام هاهنا من خلال المغايرة في نوع المُكوِّنات النَّحويَّة ، ويمكن تمثيل ذلك على النَّحو الآتي :

خبر مُقدَّم	**مبتدأ مُؤخَّر**	**فعل / مضاف إليه**
لصوتي لمعةٌ	تُغري	فعل
لصمتي ضجَّةُ	البحرِ	مضاف إليه

إلّا أنَّ تلك الخلخلة التَّركيبيَّة لم تمنع من ترجيعٍ صوتيٍّ ناجمٍ عن المقابلة ♦ بين التَّركيبين الإسناديين (لصوتي لمعةٌ / لصمتي ضجَّةٌ) ، ويبدو الإيقاع الصَّوتي غيرُ مُقتصرٍ على المقابلة فقط ، إذ يأتي تشابه البنى الصَّرفيَّة المتوازية (لصوتي / لصمتي) ، (لمعةٌ / ضجَّةٌ) عنصراً فعَّالاً في تعميق التَّرجيع الصَّوتي المُوحَّد ، ناهيك عن تماثل الأصوات

---

[1] _ لسانيات الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 161

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج1 ، ص 539

♦ يُقصَد بالمقابلة ((أن يُذكَر لفظان فأكثر ثمَّ يُذكَر أضدادها على التَّرتيب .)) يُنظَر :

_ نظم البديع في مدح خير شفيع ، جلال الدين السيوطي ت (911هـ) ، تحقيق الشيخ علي محمد معوّض ؛ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار القلم العربي ، حلب ، الطبعة الأولى ، 1995م ، ص 80

في (لصوتي / لصمتي) ، كذلك تماثل إيقاع الرَّوي في الضَّرب مع إيقاع نهاية العروض ، كل هذا وذاك أسهمَ في سبك الشَّطرين صوتيَّاً من خلال تشابههما إيقاعيَّاً .

أمَّا عن التَّماسك الدَّلالي العميق فمردُّه إلى المقابلة التي تُحقِّقُ ((تلاحماً بين الألفاظ وارتباطاً قويَّاً ، حيث تستدعي المعاني بعضها بعضاً إمَّا استدعاء تشابهٍ أو استدعاء تضاد .)) [1]

ويظهر الانزياح التَّركيبي على نطاقٍ أوسع لدى الهوَّاري في نصِّه " أنا والقمر " [2] :

هائمٌ .. مُستغرقٌ في حلمٍ غارقٌ في عالمٍ لم يُخلَقِ

خبر لمبتدأ محذوف خبر ثانٍ جار ومجرور أداة نفي + فعل

هائمٌ ——— مُستَغرقٌ في حلمٍ

غارقٌ ——— في عالمٍ لم يُخلَقِ

فالتَّوازي حاصلٌ في قوله (هائمٌ في حلمٍ / غارقٌ في عالمٍ) ، وتأتي زيادة الخبر الثَّاني في الشَّطر الأوَّل " مُستغرقٌ " ، وزيادة تركيب النَّفي (لم يُخلَقِ) في الشَّطر الثَّاني لِيُخرِج التَّوازي من دائرة التَّوازي الأفقي التَّام ، ويطرحه في دائرة التَّوازي الأفقي الجزئي .

3 _ التَّوازي العمودي التَّام :

يقع بين بيتين متتاليين ، أو مجموعة من الأبيات المتتالية ، وهو يؤدِّي دوراً بنيويَّاً مهمَّاً يتمثَّل في ربط أجزاء النَّص ببعضها لتبدو نسيجاً محكماً متلاحماً . [1]

---

[1] _ في البلاغة العربية علم البديع ، د. محمود أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1991م ، ص 71 _ 72

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 49

ومنه قول الهوَّاري في نصِّهِ " **سريعاً يمرُّ القطار** " [2] :

((أيُّها الواقفون على شرفتي ؟ !!

إنْ رأيتم كناراً يُمشِّطُ بالضَّوءِ عينيهِ فهو أنا

أو رأيتم سراجاً يُعاندُ نافورةَ الرِّيحِ فهو دمي

لستُ برقاً .. ولا أدَّعي

غيرَ أنِّي أُردِّدُ ما قالهُ البرقُ عنِّي :

كبيرُ الفؤادِ .... إذا عاتبوهُ

كثيرُ الرَّمادِ .... إذا قَصَدُوهُ ⇐ **توازٍ عموديٍّ تامٍّ** ، كلُّ سطرٍ شعريٍّ فيه مُكوَّن من :

عنيدُ العنادِ .... إذا ساوَموهُ مُضاف + مضاف إليه + أداة الشَّرط (إذا) + فعل

فبشرى لقلبي الذي اتَّهموه

بجرمِ النَّزيفِ على صخرةِ المستحيلْ

لقد صارَ يعرفُ سرَّ الدُّخولِ

---

[1] _ لسانيات الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 161

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج1 ، ص444

إلى نبعهِ من شقوقِ اليباس

وهاهو يجمعُ في سلَّةِ العمر

سربَ الغمام الذي بعثروهُ))

فالتَّوازي المُشار إليهِ آنفاً توازٍ عموديٍّ تامٍّ لأنَّهُ توازٍ بنيويٍ تامٍ بين الأسطر الشِّعرية ، إذ توافقت فيها البنى النَّحويَّة والصَّرفيَّة توافقاً تامَّاً على التَّرتيب ، ممَّا منح النَّص اتِّساقاً صوتيَّاً مُحكَماً مردُّه تكرار النَّغمات الإيقاعيَّة ذاتها بشكل متواترٍ ثلاث مرَّات ، ولعلَّ تكرار بعض الحروف في البنى المُتوازية ممَّا زاد في شدَّةِ إحكامِ السَّبك الصَّوتي في هذا النَّص.

أضف إلى ذلك أنَّ هذا ((التَّوازي الرَّأسي (العمودي) يُؤكِّد استمراريَّة الحالة الشَّعوريَّة الواحدة وهي المُتحكِّمة في نمو الخطاب الشِّعري واستمرارهِ ، وتماسكهِ من ناحيةٍ أخرى .)) [1] ، فقد أكَّدَ الشَّاعر من خلال هذا التَّوازي افتخاره بنفسهِ ، ويبدو ذلك جليَّاً في قوله : / كبيرُ الفؤادِ ، كثيرُ الرَّمادِ ، عنيدُ العنادِ / وجاء شعور الفخر هذا أيضاً استمراراً لشعور الفخر في السِّياق السَّابق عندما وصف نفسهُ بالكنار والسِّراج ، ثمَّ أكَّد شعور الفخر في هذا وذاك ، من خلال فخره بشعرهِ في السِّياق اللاحق ووصفه إيَّاها بالإبداع النَّادر" صخرة المستحيل " ، النَّابع من العدم " شقوق اليباس " ، المِعطاء الشَّامل " سرب الغمام.

أيضاً في نصهِ " **قدري أنت** " [2] :

لكَ وحدَك أغزلُ أخيلتي لكَ أكتبُ أشعاري

لكَ وحدَك تبحرُ أشرعتي لكَ تهطلُ أمطاري

[1] _ لسانيات الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 161– 162

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 28

يُلحَظ تحقُّق التَّوازي العمودي التَّام من خلال هندسة بناء هذين البيتين بطريقة لافتة ، إذ توازى البناء النَّحوي والصَّرفي للشطر الأوَّل في كلا البيتين ، كما توازي البناء النَّحوي والصَّرفي للشطر الثَّاني في كلا البيتين ، ويبدو واضحاً أنَّ التَّوازي بين شطري كل بيت هو توازٍ أفقيٍّ غير تام بسبب زيادة كلمة " وحدك " ، ولو أمكن الاستغناء عن هذه الكلمة لتحوَّل التَّوازي إلى توازٍ أفقيٍّ عموديٍّ تامٍ في كامل النَّص لتكرار البنى النَّحويَّة والصَّرفيَّة المتوازية المُتماثلة وفق التَّرتيب ذاته .

كما يبدو أنَّ التَّماسك الصَّوتي في النَّص لا يُعزى فقط إلى تكرار القوالب النَّحويَّة والصَّرفيَّة بالشَّكل المُشار إليه آنفاً ، إذ يأتي تكرار" لك وحدك " في الأشطر الأولى ، وتكرار " لك " في الأشطر الثَّانية ، بالإضافة إلى تكرار " أ ، ت ، ي " في / أخيلتي ، أشرعتي / ، و تكرار " أ ، ر ، ي " في / أشعاري ، أمطاري / عنصراً صوتيَّاً بارزاً يُوجِّد التَّوقيع الصَّوتي في النَّص ويُقوِّيهِ ، ويمكن تمثيل التَّوازي في هذين البيتين وفق الآتي :

لك وحدك أغزلُ أخيلتي ← **توازٍ أفقي غير تام** → لك أكتبُ أشعاري

توازٍ عموديٍّ تام

لك وحدك تبحرُ أشرعتي ← **توازٍ أفقي غير تام** → لك تهطلُ أمطاري

ومن التَّوازي العمودي التَّام في نصِّه " **خيطُ دخان** " [1] :

من غناءِ الطَّيرِ فينا كلُّ لحنٍ فلماذا نحبسُ اللحنَ الشَّجيَّا

من دموعِ الوردِ فينا كلُّ عطرٍ فلماذا نمنعُ العطرَ الشَّذيَّا

[1] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ،ج2 ، ص 33

يُلحَظ هاهنا ((تفاعل الصَّوت والدَّلالة والتَّركيب في اشتغال الأجراس)) [1] ، إذ توازى البيت الأوَّل والثَّاني توازياً تركيبيَّاً تامَّاً على صعيد البنى النَّحويَّة والصَّرفيَّة والمُعجميَّة ممَّا أدَّى إلى سبك البيتين صوتيَّاً ، وممَّا عضد ذلك الاتِّساق تكرار بعض البنى النَّحويَّة / من ، فينا ، كلُّ ، فلماذا / ، بالإضافة إلى التَّجانس الحاصل بين القوافي / الشَّجيَّا ، الشَّذيَّا / ، أمَّا عن التَّماسك الدَّلالي العميق فيُعزى إلى التَّناسب المعجمي بين مفردات البيت الأوَّل والثَّاني على التَّرتيب :

البيت الأوَّل : التَّغريد	البيت الثَّاني : العطر
1 _ غناء الطَّير	1 _ دموع الورد
2 _ لحن	2 _ عطر
3 _ اللحن الشَّجيَّا	3 _ العطر الشَّذيَّا

فالبيت الأوَّل يرتبط دلاليَّاً بالبيت الثَّاني بالتَّناسب ** واستدعاء المعاني ، فالمتلقِّي عندما يقع على مسامعهِ البيت الأوَّل وتختزنهُ ذاكرتهُ ثمَّ يستهل البيت الثَّاني فإنَّ رصف البيت الثَّاني يتمُّ تلقائيَّاً اتِّكاءً على التركيب النَّحوي والمعجمي للبيت الأوَّل والذي تعالجه الذَّاكرة مباشرةً في البيت الثَّاني من خلال استدعاء المعاني المعجميَّة المتناسبة مع نظيراتها في البيت الأوَّل ، ووفق قالبه النَّحوي والصَّرفي .

---

[1] _ تحليل الخطاب الشِّعري (البنية الصَّوتيَّة في الشِّعر – الكثافة . الفضاء . التَّفاعل) ، د. محمد العمري، الدار العالميَّة للكتاب ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1990م .، ص 14

** _ ((مراعاة النَّظير : وهذا النَّوع سمَّاهُ قومٌ بالتَّوفيق ، وآخرون بالتَّناسب ، وجماعةٌ بالائتلاف ، وبعضهم بالمؤاخاة ، وهو عبارة عن الجمع بين أمر وما يناسبهُ لا بالتَّضاد ، والمناسبة هنا عامَّة سواء كانت المناسبة في اللفظ مع المعنى ، أو في اللفظ مع اللفظ .)) يُنظر :

_ فن البديع ، عبد القادر حسين ، ص 54_ 55 ، ويُنظَر أيضاً :

_ نظم البديع في مدح خير شفيع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوّض ؛ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ص 161

4 _ التَّوازي العمودي الجزئي :

يتحقَّق من خلال التَّطابق التَّام بين الجمل المتتالية في النَّص باستثناء بعض عناصرها وأبنيتها ، ويُعزى ذلك الاختلاف إلى إجراء إحدى عمليَّات التَّحويل كالزِّيادة أو الحذف أو الاستبدال . [1]

ومنهُ قول الهوَّاري في نصِّهِ " **طرقتُ الباب** " [2] :

وقالَ الطِّينُ : لو فيها شعاعٌ من الطِّينِ الأصيلِ لَما رمتني

وقالَ الحبُّ : لو فيها قليلٌ من الحُبِّ المُقدَّسِ قدَّستني

فالتَّوازي بين البيت الأوَّل والثَّاني توازٍ عموديٍّ غير تام بسبب التَّوازي التَّام نحويَّاً وصرفيَّاً بين البيتين وعلى التَّرتيب باستثناء النَّفي " لَما " في البيت الأوَّل .

و منهُ قوله كذلك في نصِّه " **أنا وحبيبي** " [3] :

وما اكتمل العمرُ إلَّا بنا ولم تضحك الشَّمس إلَّا لنا

وما وقف الطَّيرُ في كرمنا يُغرِّدُ إلَّا على غصننا

فالتَّوازي أيضاً عموديٌّ غيرُ تامٍّ ،لانتفاء التَّطابق النَّحوي والصَّرفي التَّام بين شطري البيت الأوَّل ، وتركيب البيت الثَّاني ، وذلك للزيادة في البيت الثَّاني المُتمثِّلة في زيادة التَّركيب النَّحوي " في كرمنا يُغرِّدُ " ، وزيادة الاسم المجرور " غصن " .

[1] _ لسانيات الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 161

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 22

[3] _ المرجع نفسه ، ص 38

إلَّا أنَّ هذه الخلخلة التَّركيبيَّة لا تعني انتفاء الاتِّساق الصَّوتي ، فهو مُحقَّق بفعل التَّوازي العميق بين البنى النَّحويَّة والصَّرفيَّة و الذي تُجسِّدهُ بنية القصر ، ممَّا يُولِّدُ إيقاعاً داخليَّاً يُؤازرهُ على المستوى السَّطحي الإيقاع النَّاجم عن تكرار أدوات النَّفي والاستثناء " ما / إلَّا " وتكرار " نا " في نهاية كل شطر من البيتين .

إنَّ أنواع التَّوازي لا تقف عند التَّصنيف السَّابق فقط ، فقد ذهب العلماء العرب والغرب مذاهب شتَّى في أصنافه وتفريعاتهِ • ، من ذلك ما انتهى إليه جاكبسون JAKOBSON من ((أنَّ أنواع التَّوازي هي :

أ _ **توازٍ صوتي PHONIC PARALLELISM** : ويُعنَى بهِ الصَّوت المفرد ، ويكون على مستوى الكلمة المفردة ، ويكون فيه الصَّوت صدى للإحساس ....

ب _ توازٍ غير صوتي : أي توازي لغوي GRAMMATICAL PARALLELISM

وينقسم إلى :

1 _ **التَّوازي الخاص ببناء الجملة SYNTACTIC** وهو ما يُعرَف بالتَّوازي الإعرابي .

• _ يُنظَر على سبيل المثال في تصنيفات وتفريعات التَّوازي لدى د. محمد مفتاح :
_ التَّلقِّي والتَّأويل ، د. محمد مفتاح ، ص 150 _ 157
_ التَّشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، ص 100 _ 118

2 _ **التَّوازي الدَّلالي SEMANTIC** وهو خاص بدلالات الألفاظ .)) [1]

أ _ التَّوازي الصَّوتي :

تُمثِّل دراسة التَّوازي الصَّوتي نمطاً من أنماط مقاربة الأصوات في فضاء النَّص ، ويتم من خلال ملاحظة تكرارها وتقابلها ، ودراسة تردُّد البنى الصَّوتيَّة في طبيعتها وكثافتها وتنظيمها ومواقعها في سياقاتها . [2]

و((إذا كانت بنية الأصوات تخلق لوناً من التَّوازي الظَّاهري ، لأنَّها تُمارس فعلها على مستوى خط الكلمات ؛ فإنَّ بنية الوزن تخلق لوناً من التَّوازي الخفي الذي يُساهم في بناء متواليات متوازية على المستوى الصَّرفي _ النَّحوي ، وذلك لوقوع صيغ متماثلة صرفيَّاً بأدائها لنفس الوظائف النَّحويَّة في مواقع عروضيَّة متماثلة)) [3]

ومنه قول الهوَّاري في نصِّهِ " **الشَّوق المؤجَّل** " [4] :

أنتِ يا أحلى من الأحلى وأغلى أنا عطشانُ ومن عينيكِ أنهلْ

---

[1] _ البديع والتَّوازي ، د. عبد الواحد حسن الشَّيخ ، 21 ، وممَّن جمع في التَّوازي بين تصنيف د. نعمان بوقرة وتصنيفٍ مشابهٍ لتصنيف جاكبسون ، د. عبد الرَّحيم محمد الهبيل في مقالته " ظاهرة التَّوازي في شعر الإمام الشَّافعي " ، إذ تناول التَّوازي الصَّوتي ، والتَّوازي الصَّرفي والتَّوازي المعجمي وقاربه من خلال دراسة عدة ظواهر لغويَّة وفنون بديعيَّة ، وهي : التَّكرار ، والتَّقابل ، والتَّجنيس ، والتَّصريع ، وأخيراً التَّوازي النَّحوي (التَّركيبي) وقسَّمهُ كما د. نعمان بوقرة إلى : توازٍ أفقي جزئي وكلِّي ، وتوازٍ رأسي جزئي وكلِّي . يُنظر :
_ ظاهرة التَّوازي في شعر الإمام الشافعي ، د. عبد الرَّحيم محمد الهبيل ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدِّراسات _ فلسطين ، العدد الثالث والثلاثون (2) _ حزيران 2014 ، ص 106 _ 125

[2] _ تحليل الخطاب الشِّعري (البنية الصَّوتيَّة في الشِّعر) ، د. محمد العمري ، ص 53 _ 54

[3] _ التَّوازي ولغة الشِّعر ، محمد كنوني ، www.aljabriabed.net

[4] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 45

انطلاقاً من تعريف هوبكنز HOPKINS للتَّوازي وهو " الصَّوت المنطوق الذي له شكل متكرِّر " [1] نرى أنَّ التَّكرار و الجناس يمثِّلان عنصرين فنِّيين جوهريين في تحقيق التوازي الصوتي على صعيد الشطر الأوَّل ، ويبدو ذلك في تكرار كلمة " أحلى " ، وفي توازي الألفاظ المتجانسة " أحلى ، أغلى " ، فتماثل الأصوات في الكلمات المُكرَّرة ، وتشابهها في الكلمات المتجانسة يُسهم في تحقيق رنين إيقاعي ونغم صوتي متواشج مترابط العُرى ، وتأتي المجاورة هاهنا عاملاً رئيساً في ربط تلك المتوازيات .

أيضاً في نصِّهِ " **يا ليالي الحب** " [2] :

وردةٌ منكَ .. ومنِّي وردةٌ تزدهي في حقلنا أحلى الصُّورْ

قطرةٌ منك ومنِّي غيمةٌ يضحكُ البرقُ ويخضرُّ المطرْ

شمعةٌ منكَ ومنِّي شمعةٌ يكبرُ الضَّوءُ بأهدابِ القمرْ

تترابط الأشطر الأولى صوتيَّاً ، وتتناغم إيقاعيَّاً من خلال التَّكرار الذي أحدث ترجيعاً صوتيَّاً وصدىً نغميَّاً ما إن ينتهي مع نهاية الشَّطر الأوَّل في كل بيت حتى يتعمَّق ويزداد رسوخاً مع بداية الشَّطر الأوَّل اللاحق ، والتَّكرار كما يتَّضح بين تلك الأشطر ، تركيبي تام ، معجمي غير تام ، إذ اختلَّ معجميَّاً في الكلمتين " قطرة / غيمة " ، إلَّا أنَّ تلك المفارقة التَّكراريَّة بين الكلمتين لا تُشكِّل خرقاً في بنية التَّوازي الصَّوتي لتماثلهما واتِّحادهما في الصِّيغة الصَّرفيَّة وهي صيغة " فَعْلَة " ، فالمستوى العميق لا يقلُّ أهميَّة عن المستوى السَّطحي في دعم وتيرة الإيقاع النَّصِّي .

[1] _ fox , james. J , explorations in semantic parallelism ,the Australian national university press , 2014 , p 20

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 131

ب ـ التَّوازي التَّركيبي :

ويندرج في إطارهِ التَّوازي الأفقي التَّام والجزئي، والتَّوازي العمودي التَّام والجزئي .

ومنهُ قول الهوَّاري [1] :

أَعِرني صَمتَكَ الدَّاوي لأتلوهُ على الرَّعدِ

أَعِرني فحمَكَ الذَّاوي لأُشعلَهُ من الوجدِ

أَعرني ليلَكَ الغاوي بهِ في الشَّمسِ أستهدي

أعرني بردَكَ الكاوي ليحميني من البردِ

فالتَّوازي تركيبي تام على صعيد الأشطر الأولى ، وتركيبي غير تام على صعيد النَّص ككل بسبب الانزياح التَّركيبي للشطر الثَّاني في البيت الثَّالث ، ومخالفته تركيبيًّاً لما سبقه وتلاه .

وفي قول الهوَّاري في نصِّهِ " **أنا والقمر** " [2] :

كلُّ يومٍ نلتقي في غيمةٍ كلُّ يومٍ نلتقي في زورقِ

يُعدُّ التَّوازي تركيبي تامًّاً لتماثل البنى الصَّرفيَّة والنَّحويَّة على صعيد الرَّصف الأفقي التَّركيبي .

[1] _ المرجع نفسه ، ج1 ، ص 540

[2] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 49

ج _ التَّوازي الدَّلالي :

يستندُ إنتاج الدَّلالة فيه على وجود بنيتين متقابلتين ، فمن خلال تقابلهما يتم إنتاج الدَّلالة النَّصيَّة [1]؛ فالتَّوازي الدَّلالي مُتعلِّق بدلالات الألفاظ ، ويتم من خلال الاقتران بين العناصر الدَّلاليَّة ، إذ تنتظم العناصر الدَّلاليَّة في مجموعات ثنائيَّة مُحدَّدة ، وهذه المجموعات بدورها تنتظم في صيغة عبارات ، ثمَّ تندرج تلك العبارات في خطوط شعريَّة متوازية . [2]

إنَّ بنية التَّوازي ((لا تقتصرُ على الوزن والإيقاع والتَّجنيس والقافية ، بل تتَّسع لتشمل التَّوازي الدَّلالي القائم على التَّشابه والتَّعارض .)) [3] فمن الممكن تصنيف التَّوازي وتفريعهُ وفق معايير دلاليَّة من خلال الارتكاز على أربع علاقات دلاليَّة أساسيَّة وهي التَّرادف * والتَّضاد والارتباط الشَّرطي والتَّناسب . [4]

فالتَّوازي((يكون أحياناً مترادفاً بحيث يُعيد الجزء الثاني الجزء الأوَّل في تعابير أخرى ، ويكون أحياناً متضادَّاً بحيث يضادُّ الجزء الثاني الجزء الأوَّل ، ويكون أحياناً توليفيَّاً بحيث يُحدِّد الجزء الثَّاني الجزء الأوَّل .)) [5]

---

[1] _ لسانيَّات الاختلاف ، د. محمد فكري الجزَّار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1995م ، الحاشية السُفليَّة ، ص 404

[2] _ fox , james. J , explorations in semantic parallelism ,the Australian national university press , 2014 , p 91

[3] _ تحليل الخطاب الشِّعري (البنية الصَّوتيَّة في الشِّعر) ، د. محمد العمري ، ص29

* _ ((التَّرادف synonimy : تعدُّد الدَّوال التي تُشير إلى مدلول واحد.)) ، يُنظَر :
_ المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب ، د. نعمان بوقرة ، ص 98

[4] _ التَّوازي ولغة الشِّعر ، محمد كنوني ، www.aljabriabed.net

[5] _ التَّشابه والاختلاف ، د. محمد مفتاح ، ص 97

ويُلْحظُ في نص هوَّاري اعتمادهُ تلك المعايير في إبراز خاصية التَّوازي الدَّلالي في شعره ، فمن المقابلة قول الهوَّاري [1] :

في اللينِ أودعُ من قطٍّ ومن حملٍ وفي الخديعةِ أدهى من ثعالبها

فقد توازى الشَّطران الأوَّل والثَّاني معجميَّاً وتركيبيَّاً من خلال المقابلة بينهما على النَّحو الآتي :

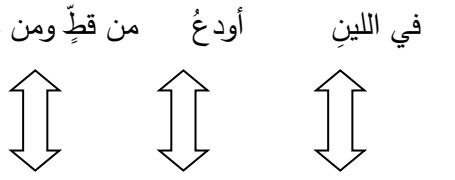

ومنه قول الهوَّاري في نصِّه " **الشَّوق المُؤجَّل** " [2] :

واندفاعي ... ليس معناهُ انطلاقاً وسكوتي ... ليس معناهُ مُكبَّلْ

كم تظاهرتُ بجهلي وغبائي لذَّةُ المشتاقِ أن يدري ويجهلْ

ففي البيت الأوَّل تحقَّق التَّوازي من خلال المقابلة دلاليَّاً بين الشَّطرين :

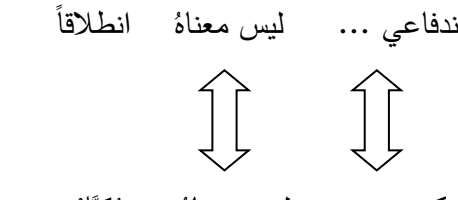

[1] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 68

[2] _ المرجع نفسه ، ص 46

وفي الشَّطر الثَّاني تحقَّق التَّوازي من خلال التَّرادف في قوله (جهلي / غبائي) ، والطِّباق في قوله (يدري / يجهل)

ومن التَّوازي اعتماداً على الطِّباق قوله في نصِّهِ " **إنَّهُ الحب** " [1] :

آهِ ما أحلى احتراقي وانطفائي في يديهِ

فالتَّوازي بين الكلمتين المتطابقتين (احتراقي / انطفائي)

ومنه اعتماداً على التَّناسب والتَّرادف ما جاء في نصِّهِ " **إنَّهُ الحب** " [2] :

مثلما	الصَّحراءُ	خلفَ	الشَّمسِ	تشتاقُ	المطرْ
⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	
مثلما	السَّاري	وراءَ	الليلِ	يهفو	للقمرْ

فالتَّناسب بين المفردات (الصَّحراء / السَّاري) ، (الشَّمس / الليل) ، (المطر ، القمر) ، والتَّرادف بين المفردات (خلف / وراء) ، (تشتاق / يهفو) .

يظهر التَّوازي في الأمثلة السَّابقة أداةَ أسلوبيَّة من أدوات التَّماسك الدَّلالي على صعيد المستوى الباطني العميق للنَّص ، فالألفاظ عندما تتوارد في ذهن المُتلقِّي تستدعي الألفاظ المُرادفة أو المُضادَّة أو المتناسبة معها ..... الخ ، وهذا الاستدعاء يُشكِّلُ تحفيزاً ذهنيَّاً عميقاً يربط بين الأجزاء المتباعدة أو المُتجاورة ليغدو النَّص دلاليَّاً بنيةً مُوحَّدة متلاحمةً لا انفصال بين مكوِّناتها ، فالسَّابق يستدعي اللاحق ، واللاحق يستندُ في وجودهِ على السَّابق ، وبين السَّابق واللاحق لحمةٌ دلاليَّةٌ تشد أزر أحدهما إلى الآخر .

[1] _ الأعمال الشِّعريَّة ، صالح هوَّاري ، ج2 ، ص 47

[2] _ المرجع نفسه ، ص 48

من خلال معالجة ظاهرة التَّوازي في شعر صالح هوَّاري يُلحَظُ ذلك التَّماهي العميق بينه وبين الكثير من الفنون البديعيَّة ، لدرجةٍ يمكن معها القول أنَّه يكتنف أكثر مباحث علم البديع ، كما يُلحَظ كذلك أنَّهُ أيًّا كانت طريقة التَّصنيف والتَّفريع المُتَّبعة في مقاربتهِ فإنَّهُ من غير الممكن ، بل من الاستحالة بمكان تجاهل ذلك التَّعالق القائم بين المستوى الصَّوتي والصَّرفي والمعجمي والدَّلالي عند دراسة التَّوازي في فضاء النَّص ، ممَّا يؤكِّد عدم اقتصار دوره على الوظيفة الجماليَّة المعنيَّة بهندسة البناء النَّصِّي ، وممَّا يدعو كذلك إلى التَّسليم بفاعليَّةِ التَّوازي ودوره البنائي في التَّعالق النَّصِّي على المستوى السَّطحي والعميق .

7 _ نتائج البحث :

خلص البحث من خلال المعالجة والتَّحليل إلى جملة من النَّتائج :

1 _ تحقَّق الاتِّساق في نص صالح هوَّاري من خلال ظاهرة التَّوازي أفقيًّاً وعموديًّاً على المستوى السَّطحي الصَّوتي والصَّرفي والمعجمي والتَّركيبي ، كما تحقَّق الانسجام على المستوى الدَّلالي العميق من خلال العلاقات الدَّلاليَّة الرَّابطة ، ويُفهَمُ من هذا أنَّ التَّوازي في النَّص المذكور رابطٌ ثلاثيُّ الأبعاد سطحيٌّ عميقٌّ في آنٍ واحد .

3 _ ظاهرة التَّوازي ظاهرة لسانيَّة عامَّة شاملة لمعظم الفنون البلاغيَّة البديعيَّة ، فأكثر الفنون البديعيَّة تمثِّل نمطاً من أنماط التَّوازي وقسيماً من أقسامه ، وبهذا تُمثِّل دراسة التَّوازي معالجة جديدة لتلك الفنون البلاغيَّة البديعيَّة قائمة على مبدأ التَّرابط السَّطحي والعميق .

4 _ على الرغم من تعدُّد تفريعات وأصناف التَّوازي إلَّا أنَّ المقاربة النَّصيَّة تقتضي شموليَّة الرُّؤيا لجميع الأنواع عند المعالجة والتَّحليل ، وما اللجوء إلى التَّقسيم والتَّفريع إلَّا

منهجيَّة علميَّة تقتضيها طبيعة البحث ، كما أنَّ هذهِ الشُّموليَّة تُؤكِّد كون النَّص وحدةً متماسكة العرى سطحاً وعمقاً ، وهو ما دعت اللسانيَّات النَّصيَّة إلى إثباته ، وسنَّت لأجل ذلك المعايير الخاصَّة بنصَّانيَّة النَّص .

8 _المصادر والمراجع :

_ إبراهيم ، د. إبراهيم عبد المنعم ، 2008م _ بحوث في الشِّعريَّة وتطبيقاتها عند المتنبي . مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى . القاهرة .

_ بوقرة ، أ ، د. نعمان ، 2012م _ لسانيات الخطاب (مباحث في التَّأسيس والإجراء) . دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى . بيروت .

_ بوقرة ، د. نعمان ، 2009م _ المصطلحات الأساسية في لسانيَّات النَّص وتحليل الخطاب . عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى . إربد .

_ الجزَّار ، د. محمد فكري ، 1995م _ لسانيَّات الاختلاف . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة .

_ حسين ، د. عبد القادر ، 1983م _ فن البديع . دار الشروق ، الطبعة الأولى . القاهرة .

_ السيوطي ، جلال الدين ت (911هـ) ؛ تحقيق معوّض ، الشيخ علي محمد ؛ أحمد عبد الموجود ، الشيخ عادل ، 1995م _ نظم البديع في مدح خير شفيع . دار القلم العربي ، الطبعة الأولى . حلب .

_ الشِّيخ ، د. عبد الواحد حسن ، 1999م _ البديع والتَّوازي . مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيَّة ، الطبعة الأولى . الإسكندرية .

_ العمري ، د. محمد ، 1990م _ تحليل الخطاب الشِّعري (البنية الصَّوتيَّة في الشِّعر – الكثافة . الفضاء . التَّفاعل) . الدار العالميَّة للكتاب ، الطبعة الأولى . الدار البيضاء .

_ فضل ، د. صلاح ، 1995م _ شفرات النَّص . دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الثانية . مصر .

_ كنوني ، محمد ، التَّوازي ولغة الشِّعر . www.aljabriabed.net

_ لوتمان ، يوري ؛ ترجمة أحمد ، د. محمد فتوح ، 1995م _ تحليل النص الشعري" بنية القصيدة " . دار المعارف ، القاهرة .

_ المراغي ، د. محمود أحمد حسن ، 1991م _ في البلاغة العربية علم البديع . دار العلوم العربية ، الطبعة الأولى . بيروت .

_ مفتاح ، د. محمد ،1996م _ التشابه والاختلاف . المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى . الدار البيضاء

_ مفتاح ، د. محمد ، 1994م _ التَّلقي و التَّأويل . المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى . بيروت.

_ الهبيل ، د. عبد الرَّحيم محمد ، حزيران 2014 _ ظاهرة التَّوازي في شعر الإمام الشافعي . مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدِّراسات ، فلسطين _ العدد الثالث والثلاثون (2) _

_ هوَّاري ، صالح ، 2015م _ الأعمال الشِّعريَّة . منشورات الهيئة العامة السوريَّة للكتاب ، وزارة الثَّقافة ، دمشق .

_ ياكبسون ، رومان ؛ ترجمة الولي ، محمد ؛ حنون ، مبارك ، 1988م _ قضايا الشعرية . دار توبقال للنشر ، الطبعة الأولى . الدار البيضاء .

المراجع الأجنبيَّة :

FOX , J ,2014_ explorations in semantic parallelism . the Australian national university press , AUSTRALIA